

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ

بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر: 16 - 17]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

كمالُ غنى
الخالق سبحانه
عن مخلوقاته

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ أَنَّهُ الْغَنِيُّ الْكَامِلُ فِي غِنَاهُ، وَأَنَّ النَّاسَ فَقَرَاءُ إِلَيْهِ؛ ذَكَرَ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ مَا يُدَلُّ عَلَى غِنَاهُ، وَذَلِكَ فِي اسْتِغْنَائِهِ عَنِ الْعَالَمِ، وَقُدْرَتِهِ عَلَى الْإِتْيَانِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَلِبْيَانِ أَنَّ مَنْ فَقَّرَ النَّاسَ إِلَيْهِ احتياجهم إلى مَنْ يحفظ حياتهم، وَأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُتَعَذِّرٍ عَلَى اللَّهِ لِكَمَالِ قُدْرَتِهِ⁽¹⁾.

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾: (ذهب) أصل الذَّهَاب: المَضْيُ، يقال: ذهب بالشيء وأذهبهُ، ويُستعمل ذلك في الأعيان والمعاني، قال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ [الصفات: 99]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا عَاتَبْتُمُوهُنَّ﴾ [النساء: 19]، والذَّهَبَةُ: المَرَّةُ الواحدة من الذَّهَابِ، ويقولون: ذهب لذهبه، أي: لَمْذَهَبِهِ الذي يذهب إليه⁽²⁾، والمذهب: مصدر، كالذَّهَابِ، وذهب به، وأذهب غيره، أي: أزاله⁽³⁾، والإذهابُ مستعملٌ في الإهلاك، أي: الإعدام من هذا العالم، ومعناه في الآية: إِنْ يَشَأْ؛ يُسَلِّطْ عَلَيْهِمْ مَوْتًا يَعْصِيهِمْ، فَكَأَنَّهُ أَذْهِبَهُمْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِهِمْ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ⁽⁴⁾.

(2) ﴿جَدِيدٍ﴾: (جد) أصول ثلاثة: الْأَوَّلُ الْعِظَمَةُ، والثَّانِي الْحِظُّ، والثَّالِثُ الْقَطْعُ⁽⁵⁾، والجدُّ: قُطْعُ الْأَرْضِ الْمُسْتَوِيَةِ، ومنه جَدٌّ فِي سِيرِهِ

(1) الخطيب، التفسير القرآني: 866 / 8.

(2) الخليل، العين: (ذهب).

(3) ابن منظور، لسان العرب: (ذهب).

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 286 / 22.

(5) ابن فارس، مقاييس اللغة: (جد).

يَجِدُ جَدًّا، وَتُصَوِّرُ مِنْ جَدَدَتِ الْأَرْضِ: وَهُوَ الْقَطْعُ الْمُجَرَّدُ، فَقِيلَ: جَدَدْتُ الثَّوْبُ؛ إِذَا قَطَعْتُهُ عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ، وَثَوْبٌ جَدِيدٌ: أَصْلُهُ الْمَقْطُوعُ، ثُمَّ جُعِلَ لِكُلِّ مَا أُحْدِثَ إِنْشَاؤُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ (١٥) [اق: 15] (1).

(3) ﴿بِعَزِيزٍ﴾: (عَزَّ) أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى شِدَّةِ وَقْوَةٍ، وَمَا ضَاهَاها مِنْ غَلْبَةٍ وَقَهَرٍ (2)، وَالْعِزَّةُ: حَالَةٌ مَانِعَةٌ لِلْإِنْسَانِ مِنْ أَنْ يُغْلَبَ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَرْضُ عَزَازٍ، أَيْ: صُلْبَةٍ (3)، وَالْعِزُّ خِلَافُ الذُّلِّ، كَمَا أَنَّ الذُّلَّ لِينٌ وَرَخَاوَةٌ، وَمِنْهُ الْعِزَّةُ: الشَّدَّةُ وَالْقُوَّةُ وَالْإِمْتِنَاعُ، وَالْعَزِيزُ: الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الَّذِي لَا يُغْلَبُ (4)، وَمَعْنَى الْعَزِيزِ فِي الْآيَةِ: ذُو الْعِزَّةِ، وَهِيَ الْقُوَّةُ، وَالشَّدَّةُ، وَالْغَلْبَةُ، وَالرَّفْعَةُ (5).

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يقول الله ﷻ: اعلموا أيُّهَا النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، إِنْ يَشَاءُ؛ يَذْهَبُكُمْ، وَيَسْتَبْدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ أَطْوَعَ مِنْكُمْ وَأَزْكَى؛ يَذْهَبُكُمْ، وَيَأْتِي بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ، فَإِنَّهُ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (6).

تهديدُ النَّاسِ
لعدم إيمانهم

❖ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالتَّبْلَاغِيُّ:

سَرُّ فَصْلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبُكُمْ﴾: ﴿إِنْ يَشَاءُ يَذْهَبُكُمْ﴾ عَمَّا قَبْلَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾؛ لَوْجُودِ كِمَالِ الْإِتِّصَالِ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ اتِّحَادُ الْجُمْلَتَيْنِ اتِّحَادًا تَامًّا، وَامْتِزَاجًا مَعْنَوِيًّا، بِحَيْثُ تَنْزَلُ الثَّانِيَةُ

بيانُ غِنَى رَبِّ
العالمين عن
النَّاسِ أَجْمَعِينَ

(1) الزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (جَد).

(2) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَائِيسُ اللَّغَةِ: (عَزَّ).

(3) الزَّاعِبُ، الْمَفْرَدَاتُ: (عَزَّ).

(4) جَبَلٌ، لِلْعَجَمِ الْإِشْتِقَاقِيُّ لِلْوُضَلِ: (عَزَز).

(5) الْقَاسِمِيُّ، مُحَاسِنُ التَّأْوِيلِ: 1/260.

(6) حِجَازِي، التَّفْسِيرُ الْوَاضِحُ: 94/22.

من الأولى منزلة نفسها⁽¹⁾، فقد وقعت جملة: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ بياناً لمظهر من مظاهر غناه عن الناس، وهو إفناؤهم والإتيان بخلق آخرين بعدهم⁽²⁾، وفي هذا تقرير لاستغنائه ﷻ عن كل الخلق على الإطلاق، وتهديد ووعد للكافرين بإهلاكهم بالكلية.

دلالة التعبير بالجملة الشرطية:

دلّ التعبير بأسلوب الشرط في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ على أنّ هذه الجملة وقعت من الجملة السابقة موقع المعلوم من العلة، وموقع المدلول عليه من الدليل؛ تحقيقاً للتهديد، وفيه إشارة إلى تعليق مضمون الجواب على دوام حصول مضمون الشرط، فيحصل الثاني بحصول الأول، فحصول الإذهاب معلق فقط بمشيئته سبحانه، فإن أمره تعالى إذا أراد شيئاً أن يقول له: كن فيكون، وهو تعالى لغناه عنهم وغضبه عليهم، لو شاء؛ لأبادهم، وأتى بخلق آخرين يعبدونه⁽³⁾.

نكتة الشرط بـ ﴿إِنْ﴾ دون ﴿إِذَا﴾:

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ استعمال حرف الشرط الجازم ﴿إِنْ﴾ دون ﴿إِذَا﴾؛ لنكتة بلاغية، وهي أنّ ﴿إِنْ﴾ يرد عمومًا في المعاني المحتملة الوقوع، والمشكوك في حصولها، والموهومة والنادرة والمستحيلة، وسائر الافتراضات الأخرى، وأمّا ﴿إِذَا﴾؛ فيستعمل عندما يكون الشرط فيها مقطوعاً بوقوعه⁽⁴⁾، فلما كان سياق الآية تعلق وقوع أمر إذهابهم بمشيئة الله وحده، فقد يشاء ﷻ تحققه، وقد يشاء غير ذلك، وذلك بحسب المصلحة التي يعلمها الله ﷻ وحده، أمّا لو استعمل النظم ﴿إِذَا﴾؛ فإنه يدل على تحقيق

إذهاب الخلق
معلق بمشيئته
سبحانه

عظيم جلم الله
على خلقه

(1) القزويني، الإيضاح: 3/ 108.

(2) طنطاوي، التفسير الوسيط: 11/ 338.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 286.

(4) السامرائي، معاني النحو: 4/ 69.

هلاكم والإتيان بخير منهم؛ لذلك كان التعبير بـ ﴿إِنْ﴾ التي تُشير إلى التهديد دون تحقيقه، وفي هذا دعوة للكافرين إلى التوبة والإقلاع عما هم فيه.

نُكْتَةُ التَّعْبِيرِ بِفَعْلِ الْمَشِيئَةِ مُضَارَعًا:

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ استعمالُ فعلِ المشيئة بصيغة المضارع؛ وذلك لأنَّ المُضَارِعَ يُفِيدُ افتراضَ تجددِ الفعل واستمراره، فَصِفَةُ مشيئةِ الله عند أهل السُّنَّةِ والجماعة قديمة النوع، متجدِّدةُ الآحاد، فالله ﷻ كلَّ يومٍ هوفي شأن، فيقضي ما يشاء في عباده من مقادير، والله ﷻ لم يزل، ولا يزال، يفعل ما يشاء، ويتكلَّم؛ إذا يشاء، قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ﴿١﴾ [آل عمران: 40⁽¹⁾]، وفيه إشارة إلى أنَّ التَّلْوِيحَ بالعقاب متجدِّدٌ ومستمرٌّ في كلِّ زمان ومكان، وفي هذا تحذيرٌ للنَّاسِ ليأخذوا حذرَهم من وقوع الهلاك والإذهاب، كما يُستَفَادُ من صيغة المضارع الاستقبال، وهو تهديدُ المشركين بإفنائهم والإتيان بعبادٍ غيرهم؛ إنَّ أَصْرُوا على الشُّرك.

مشيئة الله
قديمة النوع،
متجددة الآحاد

سِرُّ حَذْفِ مَفْعُولِ الْمَشِيئَةِ:

ورد في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾ استعمالُ فعلِ المشيئة في سياق الشرط دون ذكرِ مفعوله، وسِرُّ ذلك أنَّ شأنَ فعلِ المشيئة إذا وقع متَّصلاً بما يصلح لأن يدلَّ على مفعوله حذفُ المفعول؛ لظهور أنَّ الجواب هو دليلُ المفعول⁽²⁾، وكذلك في هذه الآية، فمفعولُ فعلِ المشيئة محذوفٌ؛ لأنَّ المرادَ منه ما يساوي مضمونَ جوابِ الشرط، فحُذِفَ إيجازاً، والتقدير: إن يشأ إذهابكم؛ يذهبكم، إلَّا أنَّ البلاغة في أن يُجاءَ به محذوفاً لما فيه من دقيق الصُّنعة

دلالة جواب
الشرط عليه

(1) ابن أبي العزّ، شرح الطحاوية، ص: 85.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 321.

ومن جليل الفائدة، فهو إضمارٌ على شريطة التفسير، فيُعطي هذا الحذفُ النَّظْمَ حُسْنًا وُغْرَابَةً، ومتى ظهرَ المفعولُ؛ صارَ الكلامُ غَنًّا، يَمُجُّهُ السَّمْعُ، وتَعَاْفُهُ النَّفْسُ⁽¹⁾.

سِرُّ التَّعْبِيرِ بقوله: ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾:

أَوْثَرَ التَّعْبِيرُ بِالْفِعْلِ ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ جوابًا لِلشَّرْطِ في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾؛ لَأَنَّ الإِذْهَابَ مُسْتَعْمَلٌ فِي الإِهْلَاكِ، أَي: الإِعْدَامِ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، أَي: إِنْ يَشَأْ؛ يَسْلُطُ عَلَيْهِمْ مَوْتًا يَعْثُمُهُمْ، فَكَأَنَّهُ أَذْهَبَهُمْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِهِمْ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ⁽²⁾، وَمِمَّا يُذَكَّرُ فِي سِرِّ التَّعْبِيرِ بقوله: ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ مِنْ مَعْنَى الإِبْعَادِ وَالِاسْتِبْدَالِ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى سَهُولَةِ ذَلِكَ الْأَمْرِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

دلالة الخطاب في قوله: ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾:

الخطابُ فِي قَوْلِهِ: ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ مُوجَّهٌ لِلنَّاسِ بِاعْتِبَارِ الْعُمُومِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِنْ يَشَأْ؛ يَذْهَبُكُمْ، وَيَأْتِ بِعَالَمٍ غَيْرِ الْعَالَمِ الَّذِي تَعِيشُونَ فِيهِ، وَتَعْرِفُونَهُ، وَيجوزُ أَنْ يَكُونَ الْخَطَابُ مُوجَّهًا لِمُشْرِكِي الْعَرَبِ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: إِنْ يَشَأْ؛ يَذْهَبُكُمْ أَهْلُهَا الْمُشْرِكُونَ، وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ لِيَسُوا عَلَى صَفَتِكُمْ، بَلْ مُسْتَمِرُّونَ عَلَى طَاعَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ⁽³⁾.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَيَأْتِ﴾:

عُطِفَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ عَلَى مَا قَبْلَهُ بِحَرْفِ الْوَاوِ الدَّالِّ عَلَى الْجَمْعِ، وَفِي هَذَا زِيَادَةٌ فِي تَهْدِيدِ الْمُشْرِكِينَ بِأَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى إِفْنَائِهِمْ إِنْ شَاءَ، وَأَنَّهُ ۖ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ عِبَادًا آخَرِينَ يَطِيعُونَهُ، وَلَا يَعْصُونَهُ، وَفِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى تَفَرُّدِهِ سَبْحَانَهُ بِالْقُدْرَةِ عَلَى خَلْقِ مَا يَشَاءُ، وَإِهْلَاكِ مَا يَشَاءُ.

(1) الجرجاني، دلائل الإعجاز: 1/ 163.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 286.

(3) الألويسي، روح المعاني: 84/ 22.

**الإِذْهَابُ
مُسْتَعْمَلٌ فِي
الإِهْلَاكِ بِالْمَوْتِ**

**قَضْدُ الْعُمُومِ
أَوْ تَخْصِيصُ
الْمُشْرِكِينَ
بِالْوَعِيدِ**

**زِيَادَةُ التَّهْدِيدِ
لِلْمُشْرِكِينَ
بِخَلْقِ قَوْمٍ
آخَرِينَ**

دلالة التعبير بالإتيان في قوله: ﴿وَيَأْتِ﴾:

أثر القرآن الكريم التعبير بالإتيان دون المجيء في قوله: ﴿وَيَأْتِ﴾؛ لما يحمله من معنى اليسر والسُهولة في فعل الله لما يشاء من الإذهاب والإهلاك والإتيان بالخلق الجديد؛ بخلاف المجيء الذي يدل في اللغة على الصُعوبة والشَّدة في فعل الشيء في حق البشر، أما عند الله؛ فهو أمرٌ يسير، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الزَّوم: 27] .

الإتيان بخلقٍ
جديدٍ على الله
يسير

دلالة الباء في قوله: ﴿يَخْلُقِ﴾:

ورد حرفُ الباء في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ يَخْلُقِ جَدِيدٍ﴾ دالاً على التَّعدية، إذ الفعلُ (أتى) في أصله لازمٌ، فلما أريدَ تعديته إلى مفعول؛ جيءَ بحرف الجرِّ الباء .

دلالة التعبير بـ (خَلَقَ):

أثر القرآن الكريم التعبير بـ (خَلَقَ) دون غيره كالنَّاس والبشر في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ يَخْلُقِ جَدِيدٍ﴾؛ لأنَّ الخَلْقَ أعمُّ؛ فيشملُ كلَّ مخلوقٍ، والنَّاسُ والبَشَرُ من المخلوقين، ولذلك فُسِّرَ الخَلْقُ بمعنى المخلوق، فهو مصدرٌ مرادُّ به اسمُ المفعول، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: 11] ، فأخبر الله سبحانه بأنَّه قادرٌ على الإتيان بعالمٍ غير النَّاسِ المعهودين، هذا إذا كان الخطابُ عاماً، أو إن يشأ؛ يذهبكم أيُّها المشركون أو العربُ، ويأتِ بخلقٍ جديدٍ ليسوا على صفتكم، بل مستمرُّون على طاعته وتوحيده⁽¹⁾.

قدرةُ ربِّ العالمين
على استبدال
العالمِ بعالمٍ
آخر

نُكْتَةُ تَكْبِيرِ ﴿يَخْلُقِ﴾:

جاء لفظُ ﴿يَخْلُقِ﴾ نكرةً في قوله تعالى: ﴿وَيَأْتِ يَخْلُقِ جَدِيدٍ﴾، والنُّكْتَةُ في تنكيره أنَّه يدلُّ على الإبهام، والإبهامُ له علاقة مباشرة

الدَّلالة على
تفخيم الشيء
وتعظيمه

(1) الألويسي، روح المعاني: 11 / 356.

بالتَّعْظِيمِ والتَّفْخِيمِ، فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُعْظِمَ شَيْئًا أَبْهَمَهُ بَحِثٌ لَا يُكْتَنَتُهُ وَصْفُهُ، وَتَذَهَبُ النَّفْسُ فِيهِ كُلِّ مَذْهَبٍ، فَالتَّكْثِيرُ هُنَا تَعْظِيمٌ لِلخَلْقِ الجَدِيدِ، الَّذِي يَسْتَبْدِلُ اللَّهُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ.

سُرُّ وَصْفِ (خَلْقِ) بـ ﴿جَدِيدٍ﴾:

وُصِفَ (الْخَلْقُ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ بِأَنَّهُ جَدِيدٌ، وَمَعْنَاهُ: إِحْدَاثُ نَاسٍ سِوَى الْمُخَاطَبِينَ لَمْ يَكُونُوا مُوجُودِينَ، وَلَا مُتَرَقِّبًا وَجُودَهُمْ، كَمَا يُفِيدُ هَذَا الْوَصْفُ الْمُبَالَغَةَ فِي تَهْدِيدِ الْمُشْرِكِينَ؛ إِذْ يَقْتَضِي تِمَامَ إِفْنَائِهِمْ وَعَدَمَ إِبْقَاءِ بَقِيَّةٍ مِنْهُمْ، كَمَا يُقَرَّرُ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الْبَدِيلَ لَنْ يَكُونَ فِيهِ مِنَ الْمُهْلَكِينَ أَثَرٌ، حَتَّى لَوْ كَانَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِمْ، فَهُوَ لِعَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ خَلْقًا جَدِيدًا أَحْسَنَ وَأَجْمَلَ وَأَتَمَّ وَأَكْمَلَ⁽¹⁾، وَفِيهِ دَفْعُ تَوْهُمِ أَنَّ هَذَا الْخَلْقَ الْجَدِيدَ مُتَّصِلٌ بِالْخَلْقِ السَّابِقِ؛ لِأَنَّ الْقُدْرَةَ الْإِلَهِيَّةَ مُطْلَقَةً لَا يَحْدُهَا حَدٌّ.

دَلَالَةُ الْوَائِي فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا ذَلِكَ﴾:

الوَائِي فِي جُمْلَةٍ: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ عَاطِفَةٌ، أَوْ حَالِيَّةٌ، أَوْ حَرْفُ اسْتِثْنَاءٍ⁽²⁾، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا عَاطِفَةٌ عَلَى الْجُمْلَةِ السَّابِقَةِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾؛ لِتَأْكِيدِ مَضْمُونِهَا، وَبَيَانِ الْعَظَمَةِ الْإِلَهِيَّةِ الْمَطْلُوقَةِ، وَالْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهَا أَيُّ شَيْءٍ، وَإِنَّمَا سَلَكَ بِهَذَا التَّأْكِيدِ مَسْلَكَ الْعُطْفِ؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الْمَغَايِرَةِ لِلْمُؤَكَّدِ فِي الْجُمْلَةِ، بِأَنَّهُ يُفِيدُ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ سَهْلٌ هَيِّنٌ عَلَيْهِ.

دَلَالَةُ النَّفْيِ بـ (مَا) فِي الْآيَةِ:

جَاءَ النَّفْيُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بِحَرْفِ (مَا) النَّفْيَةِ؛ لِلتَّأْكِيدِ عَلَى نَفْيِ امْتِنَاعِ شَيْءٍ عَلَى الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ، فإِذْ هَاجَبَ الْمُشْرِكِينَ وَالْإِتْيَانَ بِعِبَادِ آخَرِينَ مُطِيعِينَ سَهْلٌ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ أَمْرَهُ تَعَالَى إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ: كُنْ فَيَكُونُ.

الاستبدال الكلي
للمشركين
والكافرين

بيان العظمة
الإلهية المطلقة
والقدرة الباهرة

التأكيد على
عدم تعسر أي
شيء على القدرة
الإلهية

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 230 / 26، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 286 / 22.

(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 180 / 05، والدعاس، إعراب القرآن: 129 / 2.

دلالة التعبير باسم الإشارة ﴿ذَلِكَ﴾:

استعمل النظم القرآني اسم الإشارة للبعيد ﴿ذَلِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾؛ للدلالة على عظمة المشار إليه، فإهلاك المشركين وخلق عباد آخرين طائعين من الأمور العظيمة التي لا يقدر عليها إلا الله سبحانه؛ لأنه استبدال كامل، وإحلال لعالم آخر مكان هذا العالم.

سر تقديم الجار والمجرور على الخبر:

تقدم في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ الجار والمجرور ﴿عَلَى اللَّهِ﴾ على الخبر ﴿بِعَزِيزٍ﴾؛ لإفادة الاختصاص، بمعنى: اختصاص الله سبحانه وحده بالقدرة على الإقناء والخلق، كما أن في هذا التقديم تربية للمهابة، وتأكيداً على عظمة الربوبية، وفيه إشارة إلى نفي العجز عن إهلاك الكفرة والمشركين، واستبدالهم بخلق جديد.

دلالة التعبير بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾:

دل التعبير بحرف الاستعلاء ﴿عَلَى﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ على سهولة هذين الأمرين: الإهلاك والإذهاب، والإتيان بالخلق الجديد، وفيه إشارة إلى التّهوين من شأن الكافرين؛ فهلاكهم وبقاؤهم عند الله شيء يسير.

نكتة إظهار الاسم الأعظم بعد ضماره:

أثر التعبير باسم الله الأعظم ﴿اللَّهُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ الجامع لأسمائه الحسنی؛ تعظيماً لحق الألوهية، وحقيقة العظمة مختصة به وحده سبحانه، فيذكر اسم الجلالة لإحضار المعنى الجامع لصفات الكمال⁽¹⁾، ومن عظمته سبحانه الاستغناء عن الخلق أجمعين، والقدرة على إذهابهم

عظمة المشار
إليه من الإذهاب
والخلق

اختصاص الله
سبحانه بأفعال
الربوبية

لا شيء عسير
على قدرة
الحكيم الخبير

استحضار
العظمة
والجلال

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 40/11.

واستبدلهم بخلقٍ آخرين طائعين؛ لذلك كان التعبير بلفظ الجلالة «الله» هو المناسب لهذا السياق في أمر الإهلاك، الذي يحتاج إلى الجبروت والقهر، وفي أمر الإتيان بخلق جديد، الذي يحتاج إلى القدرة المطلقة.

دلالة الباء في قوله: ﴿بِعَزِيزٍ﴾:

توكيد النفي

اقترن خبر (ما) النافية في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بالباء، وهي في هذا النظم صلة غرضها توكيد النفي المدلول عليه بحرف (ما)، قال ابن السراج: "وقد أدخلوا الباء في خبر "ليس" توكيداً للنفي، تقول: ألسنت بزيد، ولست بقائم"⁽¹⁾.

نكتة التعبير (بعزيز):

العزة دليل القدرة

أوثر التعبير بلفظ (عزیز) في قوله تعالى: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ لتعدد معانيه، فقد استعمل لفظ (العزیز) في النظم القرآني تارة في القائم بنفسه، حيث قال الله سبحانه في حق نفسه: ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ۝٢٥﴾ [الأحزاب: 25]، واستعمله في القائم بغيره، حيث قال ﷺ: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، ومما يذكّر في سرّ التعبير به: أنّ العزيز هو الغالب في اللغة، يقال: مَنْ عَزَّ بَزٌّ، أي: من غلب؛ سلب، وأصل مادّته يدلُّ على شدّة وقوّة، فالله عزيز، أي: غالب، والفعل إذا كان لا يطيقه شخص، يقال: هو مغلوب بالنسبة إلى ذلك الفعل، فقوله: ﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾، أي: لا يغلب الله سبحانه على ذلك الفعل، بل هو هيّن عليه ﷻ، فإذ هاب المشركين وإفناؤهم، وإنشاء خلق آخر مكانهم ليس على الله بممتنع ولا مُتَعَذِّر؛ لأنّه القادر على ما يشاء⁽²⁾.

(1) ابن السراج، الأصول في النحو: 90/01.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 625/13، والفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 230/26، وابن فارس، مقاييس اللغة: (عزز).

دلالة التنكير في لفظ «بِعَزِيزٍ»:

جاء لفظُ «بِعَزِيزٍ» في قوله تعالى: «وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ» منكرًا؛ لإفادة الإبهام والشيوع، وإفناء المشركين والإتيانُ بخلق آخرين لا يتعذّر على القدرة الإلهية أدنى تعذّر، بل هو هيّنٌ على من تتوفّف الأمورُ جميعها على مشيئته سبحانه.

بادغة التذليل بجملة الختام:

ختمت الآية بقوله تعالى: «وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ»؛ تأكيدًا على أنّه سبحانه غنيٌّ عن الخلق، غيرُ محتاج إليهم، بل هم المحتاجون إليه، ولا وزنَ لهم عنده، ولا يزول ملكه بزوالهم، فهو قادرٌ على إفنائهم واستبدالهم متى شاء، وفيه دلالةٌ على هوان الخلق على الله؛ إذا كفروا به، وجحدوا نعمة، فلا وزنَ لهم ولا كرامة إلا بالطاعة، قال تعالى: «إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ» [الحجرات: 13].

توجيه التشابه اللفظي:

تشابه قوله تعالى: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ»، مع قوله تعالى: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ» [النساء: 133]، ومع قوله تعالى: «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٩ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝٢٠» [إبراهيم: 19 - 20]، والملاحظ اتفاق موضع سورة إبراهيم مع موضع سورة فاطر؛ بخلاف موضع النساء، وسرُّ ذلك أن آية النساء يسبقها قوله: «وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» [النساء: 132]، ولما كان السياق فيها قائمًا على التأكيد والمبالغة فيه، ودلّ ذلك على وقوع الغفلة والبعد عن الله تعالى من الناس؛ ناسبه ذكرُ قوله: «أَيُّهَا النَّاسُ» [النساء: 133]، ولما كان إذهاب هؤلاء يعقبه إتيانُ الله بأناسٍ غيرهم متأخرين عنهم في الزمان، لكنهم متقدمين عنهم بالإيمان؛ ناسب ذلك التعبير بقوله: «وَيَأْتِ

دلالة الإبهام
والشيوع

الزيادة في
الإيهام
والتهديد
للكافرين
والمشركين

التأكيد والمبالغة
عند وقوع
الغفلة والبعد

﴿يَا خَيْرِينَ﴾ [النساء: 133]، أَمَا آيَةُ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ؛ فَقَدْ بُدِئَتْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [إبراهيم: 19]، فَلَمْ يَذْكُرْ مَا يَدُلُّ عَلَى الْغَفْلَةِ، فَنَاسَبَ عَدَمُ ذِكْرِ (أَيُّهَا النَّاسُ)، وَلَمَّا كَانَ خَلْقُ الْجَدِيدِ أَدْلَ عَلَى الْقُدْرَةِ، نَاسَبَهُ التَّعْبِيرُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: 19]، أَمَا فِي سُورَةِ فَاطِرٍ؛ فَلَمْ يَأْتِ بِلَفْظِ (أَيُّهَا النَّاسُ)؛ لِسَبْقِ ذِكْرِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾، وَعَلَى ذَلِكَ فَلَا دَاعِيَ لِلتَّكَرُّارِ بِذِكْرِهَا مَرَّةً ثَانِيَةً، وَلِأَنَّهُ تَقَدَّمَ أَيْضًا تَكْذِيبُ الْأَقْوَامِ لِلرُّسُلِ، وَتَكْذِيبُ كَفَّارِ مَكَّةَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فاطر: 4]؛ لِذَلِكَ نَاسَبَ التَّعْبِيرُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ.

❁ الْفُرُوقُ الْمُجْمَعِيَّةُ:

الإِذْهَابُ وَالْإِهْلَاكُ:

يُظْهِرُ الْفَرْقُ بَيْنَ لَفْظِي (الْإِذْهَابِ) وَ(الْإِهْلَاكِ) فِي عِلَاقَةِ الْعُمُومِ وَالْخُصُوصِ بَيْنَهُمَا، فَالْإِذْهَابُ يَعُمُّ الْإِهْلَاكَ وَغَيْرَهُ، وَيُسْتَعْمَلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْمَجَازِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٍ﴾ [فاطر: 8]، وَيَرِدُ الْإِذْهَابُ كُنَايَةً عَنِ الْإِهْلَاكِ، بِمَعْنَى الْإِعْدَامِ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ، فَكَأَنَّهُ أَذْهَبَهُمْ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ؛ لِأَنَّهُ يَأْتِي بِهِمْ إِلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ بِالمَوْتِ⁽¹⁾.

أَمَّا الْإِهْلَاكُ؛ فَهُوَ خَاصٌّ بِالْإِبَادَةِ وَعَدَمِ تَرْكِ أَيِّ أَثَرٍ لِلْمُهْلَكِينَ⁽³⁾، وَقَدْ أَثَرِ النَّظْمِ الْقُرْآنِيِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ التَّعْبِيرَ بِلَفْظِ الْإِذْهَابِ لِعُمُومِهِ وَمُنَاسَبَتِهِ لِلْفَظِّ الْإِتْيَانِ الْمَذْكُورِ بَعْدَهُ.

الإِذْهَابُ عَامٌّ فِي
الْإِهْلَاكِ وَغَيْرِهِ

(1) سعد عبد العظيم محمّد، استدراك ما فات من بلاغة الآيات التشابهات، ص: 394.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 286 / 22.

(3) أحمد مختار، معجم اللغة المعاصرة: (هلك).

الإتيان والمجيء:

الإتيان فيه
سهولة ويسر،
والمجيء فيه
شدة

ذكر أهل اللغة في التفريق بين المجيء والإتيان فروقاً لا يكاد يسلم واحدٌ منها من الاعتراض، وأشهرُ فرقٍ بينهما ما ذكره الراغب: أنَّ الإتيان فيه سهولةٌ ويسرٌ، أمَّا المجيءُ ففيه صعوبةٌ وشِدَّةٌ⁽¹⁾، وقد قال بعضهم بالعكس تماماً، فقال: إنَّ الإتيانَ يكون بشِدَّةٍ وفجأةً، ولهذا استُعْمِلَ التركيب في إنزال عقوبات، قال تعالى: ﴿فَأَتَى اللَّهَ بُنْيَانُهُمْ مِّنَ الْقَوَاعِدِ﴾ [النحل: 26]، وقال: ﴿أَتَلَّهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَهَا حَصِيدًا﴾ [يونس: 24]، وقال: ﴿فَأَتْنَهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾ [الحشر: 2]، وكذلك ما في [النساء: 25، المائدة: 52، هود: 93، الزعد: 41، الكهف: 55، الشعراء: 165]، ومهما يكن من فرقٍ بينهما؛ فاستعمالُ لفظِ الإتيان دونَ المجيء في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ مناسبٌ لما ذكره الراغب، فإهلاكُ المشركين واستبدالهم بقوم آخرين يسير هينٌ على الله ﷻ.

(1) الراغب، المفردات: (جاء).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446 هـ - 2025 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 47، 800 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-731-00-9

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 47: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-731-00-9

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23 م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»